الفصل الثاني عشر

جهاد الفقيد سنة (١٩١٤م)

تابع الزعيم سنة (١٩١٤م) جهاده في منفاه، وتابعت الحركة الوطنية سيرها في مصر متبعة تعاليمه وإرشاده، محتذية مثاله في الثبات على النضال، ومقاومة الاضطهاد، وتذليل العقبات.

خطبته بمؤتمر الأجناس المضطهدة في لندن

(فبراير سنة ١٩١٤م)

وقد بقي بجنيف طيلة (شهر يناير سنة ١٩١٤م) إلى أن جاءته دعوة لحضور مؤتمر الأجناس المضطهدة NATIONALITIES AND SUBJECT RACES CONFERENCE الذي انعقد بلندن في (شهر فبراير سنة ١٩١٤م)، فبادر إلى تلبية الدعوة، وسافر إلى لندن ليحضر المؤتمر، ويرفع صوت مصر، وقد أكبر المصريون في إنجلتر جهاد الزعيم، فقابلوه بأعظم مظاهر الحفاوة والتكريم، واجتمعوا لاستقباله بمحطة فيكتوريا يوم وصوله (١٥ فبراير)، وحيوه أجمل تحية وهتفوا له هتافًا عاليًا، ورافقوه إلى فندق إمبريال، حيث نزل به.

بدأ انعقاد المؤتمر (يوم الإثنين ١٦ فبراير سنة ١٩١٤م) برئاسة السير هنري كوتون H CUTTON وحضره كثير من مندوبي الهنود وغيرهم من الشعبو الشرقية الأسيوية والإفريقية المهضومة الحقوق، وكثير من الطلبة المصريين بجامعات إنجلترا، وبعض أعضاء البرلمان البريطاني، والصحفيين، فلما دخل الفقيد مكان الاجتماع حياه المؤتمر بتصفيق حاد طويل، وأجلسه الرئيس إلى جانبه، وخطب السير هنري كوتون عن حرية الصحافة في الهند ومصر، ثم قرأ عدة رسائل برقية وردت إلى المؤتمر بتأييده من كثير من كبار رجال السياسة والجمعيات السياسية، ومنها جمعيات

الطلبة المصريين بأوربا، ثم أشار إلى سروره العظيم بوجود فريد بك إلى جانبه، وانضمامه إلى لجنة المؤتمر، وأطراه بقوله:

«إنه أحد الرجال العظماء الذين يقدرون مبدأ التضحية والذين تعذبوا في سبيل خدمة قومهم». فقابل الحضور هذه الكلمات بالتصفيق الطويل.

ثم ألقى الفقيد خطبة باللغة الفرنسية بلسان طلق بليغ، وظهر على الحاضرين الذين كانوا يعرفون تلك اللغة -وبخاصة الصحفيين- إعجابهم بقدرته في الفرنسية وحسن أدائه بها.

ثم قام أحد أعضاء لجنة المؤتمر، وترجم خطبته إلى الإنجليزية، وكان موضوعها وصف حالة مصر وقانون الصحافة فيها، وكانت موجزة خالية من أي تكلف، فحازت استحسان الحاضرين، وأشارت إليها الصحف الإنجليزية وعلقت عليها، ثم تكلم الدكتور روثر فورد، مدافعًا عن حرية الصحافة في مصر، وتطرق إلى الكلام عن تحرير مصر، ونادى بمبدأ (مصر للمصريين).

وفي ختام الجلسة قرر المؤتمر إرسال برقيتين إلى الخديوي، وإلى الجمعية التشريعية بإلغاء قانون المطبوعات، والقوانين الأخرى الاستثنائية، والعفو التام عمن حكم عليهم بمقتضاها.

حفاوة المصريين بالزعيم

وبعد أن حضر المترجم المؤتمر، قضى بقية الزمن القصير الذي مكثه بلندن في زيارات متصلة لعارفي فضله من الإنجليز، وحفلات تكريم متعددة، أقامها له أعضاء الجمعيات المصرية.

ومن هذه الحفلات حفلة الجالية المصرية في إكسفورد تحت رعاية (الجمعية المصرية)، وقد خطب فيها حفني أفندي محمود (باشا)، ومما قاله في تمجيده: «إن فريد بك قد ضحى بكل شيءٍ إلا الشرف فإنه ضاعفه».

وتأثر الفقيد من تقدير الشباب له وإشارتهم إلى تحمله في سبيل مصر مفارقة أهله وأولاده ووطنه العزيز، فأجاب عن خطبهم بخطبة تجلت فيها وطنيته الصادقة، ومما قاله فيها: «إني لا أشعر بتركي أهلي وأولادي لأني أينما رحلت ووجدت أبناء وطني أشعر أني حقيقة بين أولادي، وأن العاطفة التي تجمعني بكم، وهي حب الوطن وخدمته، لهي أكبر عندي من العاطفة التي تجمعني بأولادي».

وجاء لندن مندوبون عن الطلبة المصريين بكمبردج، وأقاموا له حفلة تكريم في مطعم التروكاديرو.

وأقامت جمعية (أبي الهول)[1] المصرية بلندن حفلة تكريم له مساء يوم الجمعة ٢٠ فبراير، خطب فيها الكثيرون من المصريين.

وأقامت له الشبيبة المصرية بإنجلترا حفلة كبرى في فندق سافواي يوم (السبت ٢١ فبراير) تحت رعاية جمعية (أبي الهول)، حضرها مندوبون عن الطلبة المصريين في لندن وإكسفورد وكمبردج، ولفيف من علية القوم من الإنجليز من رجال السياسة والصحافة، وبعض زعماء الهنود، وافتتح الدكتور عبد الحليم حلمي رئيس الجمعية الحفلة بكلمة وصف فيها الفقيد بأنه «البطل الوطني الديمقراطي، الذي يؤمن بالحرية والوطنية، والذي ضحى بثروته وحريته وقاسى آلام النفي عن وطنه النبيل من أجل المبدأ الذي جعله فوق كل شيء سواه». وخطب عبد الرحمن أفندي عزام (باشا)، ودوس أفندي محمد رئيس تحرير مجلة (الأفريكان تيمس)، و(الدكتور) عبد الرءوف رشدي، والسيد أفندي دسوقي، منوهين بفضل الزعيم، وألقى كل من مجد الدين أفندي حفني ناصف، والدكتور أحمد زكي أبي شادي قصيدة وطنية حماسية.

وتكلم من غير المصريين المستر أودونل ODONEL الكاتب الأيرلندي محرر السياسة الخارجية في (أوتلوك)، وقال في خطبته: «إني عرفت قبل الآن عندما كنت

(١) كان اسم (أبي الهول) علمًا للجمعيات المصرية في إنجلترا وفرنسا وسويسرا وبلجيكا، وكان بلندن جمعية (أبي الهول) وهي جمعية سياسية، و(النادي المصري).

عضوًا بالبرلمان البريطاني في عهد الحرب العرابية بالدفاع عن المسألة المصرية، وإني لأفخر اليوم وأسر بالدفاع مرة أخرى عن هذه القضية». وأثنى على المترجم بما يستحقه، ثم أعقبه المسرت أرثر فيلد ARTHUR FIELD الصحفي والأديب المعروف، ثم الأستاذ محمد توفيق دياب، والمستر ألدي، ثم ظفر علي خان الصحفي الهندي.

ثم ألقى الفقيد خطبتين؛ إحداهما بالفرنسية، والأخرى بالعربية، ففي الخطبة الأولى شرح للحاضرين من الإنجليز ولممثلي الصحافة حقيقة الحال في مصر، وتكلم عن الجمعية التشريعية؛ فقال: إن نظامها يجعلها ألعوبة لا توصل إلى الغاية المطلوبة، وقال: إننا لا نطلب من إنجلترا دستورًا ولا إصلاحًا، ولا نطلب ذلك إلا من الخديوي المسئول أمام الأمة؛ أما إنجلترا فلا نطلب منها إلا الجلاء.

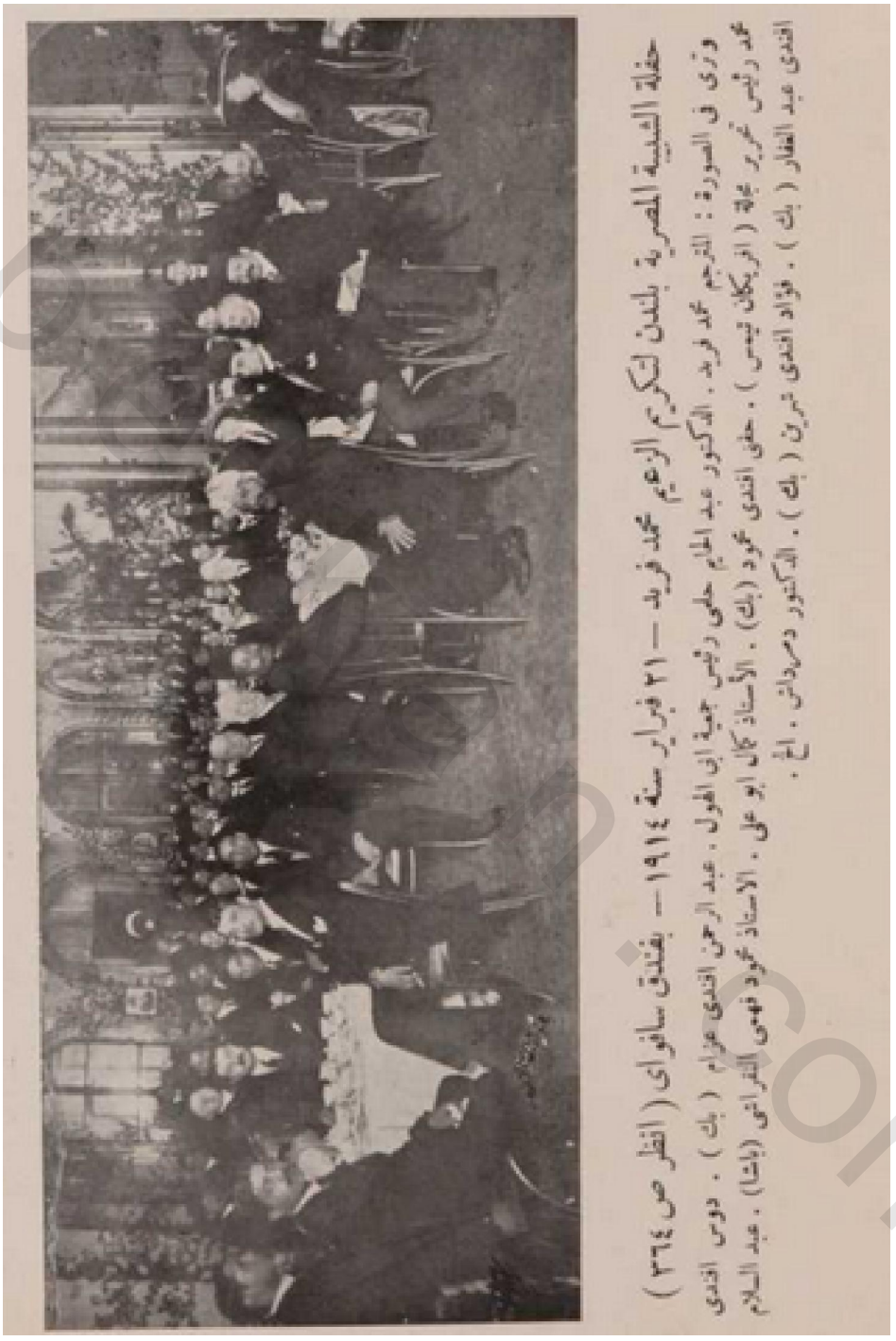

حفلة الشيبة المصرية بلندن لتكريم الزعيم محمد فريد — ٢١ فبراير سنة ١٩١٤ — بفندق سافوى (انظر ص ٣٦٤)
وترى فى الصورة : المترجم محمد فريد . الدكتور عبد الحليم حلمى رئيس جمعية ابى الهول . عبد الرحمن افندى عزام (بك) . دوس افندى محمد رئيس تحرير مجلة (اوريكان ريفيس) . حلمى افندى محمود (بك) . الأستاذ كمال ابو على . الاستاذ محمود فهمى النقراشى (باشا) . عبد السلام افندى عبد الغفار (بك) . فؤاد افندى شرين (بك) . الدكتور دمرداش . الخ .

ثم خطب بالعربية، موجهًا كلامه إلى المصريين، فشكر الجمعية على احتفائها به، وقال: إنه لا يعده احتفاء بشخصه، وإنما هو احتفاء بصحة المبدأ الذي تشاركه فيه الجمعية، ثم أثنى على المرحوم مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني وطلب أن تستقل مصر استقلالًا تامًّا عن كل إدارة أجنبية، وأن مبدأ (مصر للمصريين) هو مبدأ الحزب وشعاره، وانتقد نظام الجمعية التشريعية وقال: إنها لا تحقق آمال الشعور الوطني، وليست الهيئة التي يطلبها المصريون ليل نهار، ثم أسدى إلى المصريين نصائح أبوية غالية، ودعاهم إلى الوحدة الوطنية والعناية باقتباس حسنا المدنية الغربية، مع المحافظة على عادتنا المحمودة، والعناية بالشئون العامة مع عدم إغفال الأعمال الدراسية، ومما ورد في خطبته من جوامع الكلم قوله: «ليس من العار أن نخفق، ولكن من العار أن نرضى بالإخفاق»، وقوله: «ليس من الفخر أن نكون من أمة قوية؛ ولكن من الفخر أن نكون من أمة ضعيفة، ثم ننهض بها». وقوله: «إننا إذا تكلمنا عن الشئون المصرية هنا فليس لغرض سوى إطلاع الرأي العام البريطاني الذي هو سيد الحكومة الإنجليزية على حقيقة الأحوال في مصر، وعلى ما يعمل في بلادنا باسمه، وله أن يفعل هو ما يشاء من نفسه لصيانة كرامته، أما نحن المصريين فلا نخاطب غير الحكومة المصرية، ولا نطالب الإنجليز إلا الجلاء».

وورد وصف هذه الحفلة في كبريات الصحف الإنجليزية كالمورننج بوست والديلي نيوز والديلي هرالد والديلي تلغراف والمانشستر جارديان، وكان لها أثر كبير في نفس الفقيد، فكتب عنها في مذكراته ما يأتي: «كانت هذه الحفلة باعثة على زيادة الأمل عندي في الشبيبة المصرية، فإني أجد أن شبيبة اليوم أرقى إحساسًا وشعورًا وطنيًّا من التي سبقتها وأقرب إلى فكرة تحرير مصر من ذي قبل، وكانوا يخطبون بكل شجاعة وصراحة، مع تأكدهم من وجود جواسيس بين الحاضرين».

ودعاه حفني أفندي محمود (باشا) إلى إكسفورد، حيث أقم له حفلة تكريم في داره ببليول، ثم حضر احتفالًا أقامته له الجمعية المصرية في دار عبد السلام أفندي عبد الغفار (بك) بمدرسة لنكولن LINCOLN.

الزعيم محمد فريد يتوسط أعضاء جمعية أبي الهول المصرية بمدينة ليج Liege

وأقامت جمعية (أبي الهول) يوم (٢٤ فبراير) حفلة توديع له لمناسبة اقتراب سفره، أعدتها في ضاحية سيدنهام UPPER SYDENHAM، حضرها أكثر من أربعين مصريًّا، ثم سافر في مساء يوم الحفلة من محطة (تشيرنج كروس)، فغص إفريز المحطة، كما غص إفريز محطة فكتوريا من قبل، بجمهور كبير من المصريين جاءوا لوداعه بطرابيشهم الحمراء، وصاحوا جميعًا عند تحرك القطار: «ليحيى فريد بك! لتحيى الأمة المصرية! لتحيى مصر مستقلة!»، فشكرهم الفقيد على شريف عواطفهم، وبدا عليه التأثر من هذه الحفاوة البالغة والشعور الوطني الفياض.

في بلجيكا

عرج المترجم على بلجيكا بعد عودته من لندن، وذهب إلى (لييج) LIEGE حيث أقام له نادي الاتحاد الإسلامي حفلة تكريم يوم (أول مارس سنة ١٩١٤م)، وكان أعضاؤه من شباب الأقطار الشرقية، وحضر الحفلة جميع الشرقيين المقيمين بالمدينة، أو الذين جاءوها من مختلف المدن البلجيكية، فقام رئيس النادي أسعد قمبار الألباني، ورحب بالضيف الكريم، وعبر عن شعور إخوانه نحوه، ومما قال: إن الطلبة الشرقيين بأوربا يرون فيه الرأس المدبر، والقوة العاملة، وطلب إليه أن يتفضل بقبول رئاسة الشرف للنادي، فقبلها شاكرًا، ثم تلاه نظامي جواد الطالب بقسم التجارة بجامعة لييج، وشكر الفقيد على قبوله رئاسة شرف النادي وشرح أدوار جهاده الذي استحق الإعجاب.

وأعقبه (الدكتور) عبد الغفار متولي طالب الطب بجامعة لييج، فشرح تاريخ حياة الرئيس وعبر عن شعوره وشعور إخوانه نحوه، وحبهم وتقديرهم له، وقام بعده من الخطباء توفيق أفندي السيد التاجر بالمدينة، (فالدكتور) حسين مرتضى طالب الطب بجامعتها، وقال: إنه سمع من رئيس الحزب الوطني التونسي أن لفريد بك فضلًا على الحركة الوطني في تونس؛ إذ إنها بدأت سنة (١٩٠١م) عام زيارته لتونس.

ثم وقف الفقيد، وشكر للحاضرين حفاوتهم به وقال: إنه يشعر بالغبطة، إذ يرى نفسه في بلد أجنبي بين شبان من مختلف الأقطار الشرقية، ودعاهم إلى العمل لإسعاد بلادهم، ثم قال: يجب على كل شعب أن يعمل لتحرير نفسه ليكون عضوًا قويًّا في مجموعة الأمم الإسلامية، وإنه لا شك في أن تلك الأمم المختلفة ستتحرر وتنال استقلالها بهمة شبابها.

الزعيم محمد فريد يتوسط أعضاء نادى الاتحاد الاسلامى بمدينة ليج
أول مارس سنة ١٩١٤ (انظر ص ٣٦٦)

ودعا الشبيبة الشرقية إلى الأخذ بناصر أممهم، وانتهاز فرصة وجودهم بأوربا ليأخذوا كل حسن من المدنية الأوربية، وينقلوا إلى بلادهم الحياة الاستقلالية.

وانتهى الاحتفال وكلهم مجمعون على الإعجاب بالضيف العظيم، مغتبوطون بقيامهم بواجب تكريمه الذي هو في الحقيقة تكريم للجهاد الحق، والوطنية الصحيحة، وقد عاد إلى باريس ومنها إلى جنيف.

في نوشاتل

ودعته الجمعية المصرية في نوشاتل (سويسرا) إلى زيارتها لمناسبة تأسيسها، فلبى الدعوة وقصدها يوم (٩ مايو سنة ١٩١٤م)، وأقامت له الجمعية مأدبة تكريم خطب فيها بعض أعضائها، وألقى الفقيد كلمة حثَّهم فيها على التضامن، والتمسك بالمبادئ القويمة والفضائل الوطنية.

في لييج

وقصد من نوشاتل إلى لييج تلبية لدعوة جمعية أبي الهول بها؛ لإلقاء خطبة جامعة في المسألة المصرية، في حفلة أعدتها لهذا الغرض (مساء يوم ١٢ مايو سنة ١٩١٤م)، دعت إليها صفوة القوم من أساتذة الجامعة ورجال القضاء والمحاماة والصحافة والطب والهندسة، حتى بلغ عدد الحاضرين بها نحو ألف شخص، وقد خطب في الحفلة الدكتور عبد الغفار متولى خطبة ممتعة، ودعا الفقيد ليكون خطيب الاجتماع، فما لبث أن أجاب الرغبة، ونهض فألقى خطبة فياضة، بدأها بشكر الأمة البلجيكية، التي قبلت انعقاد المؤتمر الوطني المصري بمدينة بروكسل في (سبتمبر سنة ١٩١٠م)، بعد أن رفضت الحكومة الفرنسية عقده في باريس، ثم أعرب عن سروره للتحدث عن المسألة المصرية أمام صفوة مختارة من الأمة البلجيكية التي قاست كثيرًا من الآلام تحت نير الحكم الأجنبي، وقال: إنها أعرف من غيرها بشدة ما يقاسيه غيرها من التدخل الأجنبي. ثم تكلم عن الحرية، وما تعانيه الحركة الوطنية من الاضطهاد في مصر، وذكر قانون الاتفاقات الجنائية، وقانون المطبوعات والشدة في تطبيقه، وتكلم عن الجمعية التشريعية، فأبان نقص نظامها الأساسي وعدم إمكانها القيام بمهمتها ما دامت الحكومة غير خاضعة لصوت الأمة. وختم خطبته بقوله: إنه سيظل ثابتًا على مبدئه، عاملًا على خطته لإنهاض أمته، مهما قاسى في ذلك السبيل من شدائد وما لقي من صعوبات.

وقد قوبلت خطبته بالتصفيق المتواصل والإعجاب من جميع الحاضرين، وعرج الفقيد في هذه الرحلة على بروكسل وبعض مدن بلجيكا.

افتتاح النادي المصري بلندن وخطبة المترجم

تجلت روح الوطنية والتضامن في نفوس الجالية المصرية بلندن خلال زيارات المترجم، فأسس أعضاؤها ناديًا يجمع شملهم، سموه (النادي المصري)، وحددوا

لافتتاحه يوم (السبت ١٦ مايو سنة ١٩١٤م)، ودعوا المترجم إلى حضور حفلة الافتتاح، فلبى الدعوة، وحضر الاجتماع، وجلس في كرسي الرياسة، وألقى (الدكتور) السيد دسوقي سكرتير اللجنة التحضيرية للنادي كلمة الافتتاح حيث رحب به وشكره على حضور الحفلة، ثم وقف المترجم، وألقى بصوت مؤثر خطبة وطنية قال فيها:

«إخواني الأعزاء، إني لسعيد بأن أراني بينكم مرة أخرى وأقوم اليوم بافتتاح هذا النادي المبارك، وأظن أن الكلام في فوائد الأندية والمجتمعات هو من قبيل تحصيل الحاصل كما يقولون، فلا حاجة لأن ألقي على مسامع مجتمع مستنير مثلكم ما أنتم على علم أكيد به مثلي، لقد كنت أيها الإخوان أتمنى وجود هذا النادي من قبل، وإني لسعيد بأن أرى أمنيتي هذه قد تحققت اليوم ولم تؤخر إلى غد، وإني أشكر أعضاء اللجنة التحضيرية بصفة خاصة وأعضاء الجمعية العمومية عامة؛ لعنايتهم الكبرى بإنفاذ هذه الفكرة التي عرضتها عليكم، وكان كل أملي وثقتي أنها ستحوز هذه العناية منكم، كم كنت أمتلئ حسرة في زيارتي للعواصم والمدن الأوربية، عندما كنت أرى جميع الجاليات الأجنبية ما عدا المصريين تعنى عناية عظيمة بتأسيس أندية وجمعيات لها بدون تمييز أو تفريق بين أفراد الجالية الواحدة، ولكن النهضة الأخيرة للشبيبة المصرية بأوربا قد أزالت عني ذلك الهم الذي كنت أكتمه في نفسي ولم أدعه يتغلب عليَّ، فإني أذكر بمزيد البشر والارتياح نادي المصريين بالأستانة وجمعيات «أبي الهول» في جنيف وليبج ولوندره، وجمعية «الإخوة الإسلامية» بباريس، وجمعية «المحاضرة والمناظرة المصرية» بلوندره، واليوم أذكر بسرور مضاعف تأسيس «النادي المصري» بلوندره الذي نحتفل الآن بافتتاحه، ولا يزال لي الأمل الوافر في تأسيس جمعيات وأندية مصرية وطنية أخرى في بقية العواصم الأوربية، وفي نمو التضامن والتآزر بينها، ومهما كان عدد أعضاء هذه الجمعيات والأندية صغيرًا في بدء تأسيسها، فليست قيمتها بعدد أعضائها، ولكن بشخصيتهم، وكل عضو منها بألف من أموات الأحياء، ليست وظيفتكم في هذه الديار هي التعلم المدرسي فقط، بل أيضًا الاستفادة من

حسنات أهلها والتمرن عليها، وأنتم ترون هنا بأعينكم أثر الأندية والمجتمعات في نهضة هذه الأمة، فتشبهوا بها وتمسكوا بأحسن الوسائل التي تفوق بها غيرنا علينا، ربوا أفنسكم تربية وطنية عملية صالحة، وتدربوا على جميع أسباب النهوض استعدادًا لخدمة بلادكم البائسة. (تصفيق واستحسان).

ربما كان عدد حاضرين هذه الجلسة غير كثير بالنسبة لعدد المصريين في لوندره أو في بريطانيا كلها؛ ولكنه عدد غير قليل في حد ذاته، ويكفي أن أرى هذه القاعة قد غصت على رحبها بشبان يتدفقون غيرة وشممًا، وأول الغيث قطر ثم ينهمر (تصفيق). إن من أكبر العلل المتفشية في أمتنا (اليأس) فحاربوه، وإياكم أن تدعوا خلة ساقطة مرذولة كهذه تتغلب على عقولكم النيرة، حاربوا اليأس ما استطعتم، وتمسكوا «بالوحدة الوطنية» جهدكم وأنا الضمين لكم يا فتية النيل المحبوب بالفوز المرجو (تصفيق حاد)، أنتم رجال المستقبل، فأعدوا عدته من الآن، وإلا ضاع عليكم المستقبل كما ضاع الماضي على غيركم، تولوا شئون أنفسكم بأنفسكم، وحققوا ما رميتم إليه من تأسيس هذا النادي، وهو أن يكون مظهرًا وطنيًّا لكم، وواسطة إخاء بينكم، ومساعدة بعضكم لبعض، ماذا ينقص بلادنا للوصول إلى بغيتها لو عرف كل متعلم فيها -على قلة عددهم- واجبه القومي وحرص عليه حرصه على حياته، وعلم أن شرفه مرتبط بأدائه. إن الوطنية المصرية تطالبكم أيها الإخوة الأعزاء بأن تحرصوا على صيانة هذا النادي الذي يمثل جنسيتكم الموقرة في هذه الديار، تطالبكم بأن لا تنسوا خدمة بلادكم في كل فرصة وبكل وسيلة، تطالبكم بالاتحاد بعضكم ببعض لضمانة رقي هذا النادي ووجوده، وكذلك ما ماثله من الأعمال الوطنية، تطالبكم بأن تذكروا دائمًا أنكم إخوة في الوطنية قبل كل شيء، وأنه من الجريمة وأنتم ترون مبلغ تمكن العدو منكم ومن أمتكم الحزينة أن تتنازعوا بعضكم مع بعض فتفشلوا، أنتم أولى من غيركم يا طلبة العلم والحكمة بالقضاء على هذه الصغائر التي جرت على بلادنا وعلى جميع أعمالنا الخراب والدمار (استحسان). تشبعوا بروح الأمل والرزانة والتسامح، وحب التضحية الشخصية، فهذا هو معنى الوطنية (تصفيق)،

وعلموها لآبائكم ولأهليكم ولأصدقائكم في مصر إذا كان بينهم من لم تسعده الظروف بمعرفة أسرار الحياة الراقية التي تعيشونها هنا، لعلكم بذلك تداوون بعض جراحات وطنكم العليل، وتقرنون النجاح بأعمالكم وأعمال مواطنينا في مصرنا العزيزة، فيقرب اليوم الذي نستطيع أن ترفع فيه أمتكم ما على رأسها من الأثقال محيية عود حريتها الغالية المسلوبة. (تصفيق متواصل).

وقد انتخب الفقيد رئيس الشرف للنادي بين هتاف الأعضاء وسرورهم الفياض، وانتخب الدكتور عبد الحليم حلمي رئيسًا للنادي، والدكتور أحمد زكي أبو شادي سكرتيرًا له، وعباس أفندي طلعت صبور أمينًا للصندوق.

في ليون

وبعد عودته من لندن عرج على ليون، حيث كانت بها جالية مصرية قوية العدد، فأقامت له (مساء ٢٩ مايو سنة ١٩١٤م) حفلة تكريم فخمة، في فندق أوربا، حضرها أساتذة الجامعة، ورجال الحكومة، وبعض المحامين، وشيخ المدينة (المحافظ)، وبلغ عدد المدعوين (١١٦) مدعوًا؛ من بينهم نحو عشرين من الطلبة المصريين، وكان الفقيد واسطة عقد الحفلة، وجلس إلى يمينه ويساره الأستاذ عزيز ميرهم (عضو مجلس الشيوخ فيما بعد)، رئيس الطلبة المصريين، فالمسيو إدوار هريو Herriot محافظ المدينة (رئيس مجلس النواب ورئيس الوزارة فيما بعد)، والمسيو شارت وكيل المحافظ، فإسماعيل بك لبيب، ثم الأستاذ إدوار لامبير ناظر مدرسة الحقوق الخديوية السابق والأستاذ بكلية الحقوق بليون، فزملاؤه: بيك وافلتون وبوفيه الأساتذة بالكلية، فالمسيو وويل وموران الأستاذان بكلية الطب، وسيفاسو وباتور المستشاران بمحكمة الاستئناف، فالمسيو أورجانيور الوزير السابق والعضو بمجلس النواب، وغيرهم من علية القوم.

ووقف الأستاذ عزيز ميرهم، وتلا خطابات اعتذار وردت من بيير لوتي الأديب الكبير وغيره من عظماء المدعوين، ثم ألقى كلمة أعرب فيها عن السرور العظيم

الذي يخالج صدور المصريين عندما يجتمعون حول من أوجد حركة وطنية قوية، ستكون نهايتها الفوز والنصر.

ثم تلاه المسيو هريو محافظ المدينة، وشكر الشبان المصريين على جدهم ودأبهم على الأعمال الاجتماعية، وشرب نخب فريد بك والجالية المصرية.

ووقف المترجم في ختام الحفلة، وارتجل بالفرنسية خطبة رقيقة، بدأها بتهنئة المصريين على الاحترام الذي يكتنفهم، ثم قال:

«لا تظنوا أن أبا الهول نائم تمامًا، كلا فإنه ينام بإحدى عينيه، وينظر بالأخرى إلى الأمم الفاتحة التي توالت على مصر، وذهبت كأمس الدابر، وهو رابض مكانه يمثل الأمة المصرية الأبدية التي لم يؤثر فيها المغيرون؛ بل هي هي دائمًا ملأى بالحياة، ومن طبيعتها أن تتغلب على الفاتحين فتدمجهم فيها؛ هذا ما يجعل أملنا شديدًا في نيل استقلالنا وحريتنا، وهذا ما سيتوج أعمالنا بالفلاح».

ثم ختم خطبته بأن شرب نخب صداقة فرنسا لمصر، وتقدم جامعة ليون. ولقد قوبلت هذه الخطابة بتصفيق حماسي، وهنأ الجميع بطل الاستقلال المصري.

ثم بارح ليون يوم (٢١ مايو) عائدًا إلى جنيف.

مؤتمر الشبيبة المصرية بأوربا

(بولية سنة ١٩١٤م)

سعت جمعية «أبي الهول» بجنيف لدى زميلاتها بالعواصم والمدن الأوربية الأخرى لعقد مؤتمر يشمل مندوبين عن جميع الجمعيات المذكورة، سواء كان من جمعيات «أبي الهول» أو غيرها، لتبادل الآراء والبحث فيما يرقى من شأن الشبيبة المصرية، ويرشدها إلى طريق التقدم والنجاح، وفي علاج مصر من الأمراض الاجتماعية، وما يقربها من زمن الجلاء.

وقد لبت دعوتها جمعيات برلين وباريس ولندن وليج ومونبلييه وليون ونوشاتل ولوزان والأستانة، وفوضت هذه الجمعيات جمعية جنيف في تعميم الدعوة وتحديد ميعاد الاجتماع، وتحضير ما يلزم لعقد هذا المؤتمر، وقد قامت بما عهد إليها، وعرضت على الفقيد رئاسة شرف المؤتمر، فقبلها، وعقد المؤتمر أولى جلساته بجنيف يوم (٢٥ يولية سنة ١٩١٤م) واستمر منعقدًا عدة أيام وساد اجتماعاته كلها النظام والاتزان، ودارت المناقشات بطريقة دلت على تشبع جميع الأعضاء بالروح الدستورية، حتى أعجب بنظامهم من حضر اجتماعاتهم من الزائرين الأوربيين.

ودعى الفقيد إلى إلقاء خطبة في تاريخ الحركة الوطنية المصرية، فلبى الدعوة وألقى خطبة فياضة قوبلت بالاستحسان والإعجاب.

ثم تكلم الأستاذ السيد عبد العزيز خضر (عضو مجلس النواب سابقًا والمحامي بالإسكندرية) مندوب جمعية مونبلييه، عن البحث والابتكار عند المصريين؛ وبعد سماع خطبته قرر المؤتمر بالإجماع تنبيه المتعلمين بمصر وأوربا إلى ضرورة إنشاء مجامع علمية لزيادة معلوماتهم وتنمية ملكة البحث فيهم، وإرشادهم إلى حاجة البلاد، وبذلك يرتقي المستوى العلمي ويوجد النوابغ من المصريين.

وفي الجلسة الثانية ألقى مندوب طلبة برلين خطبة في حاجة مصر إلى العلوم، وبعد سماعها والمناقشة فيها، قرر المؤتمر الإعراب عن سروره لميل الشبيبة إلى العلوم التجارية والزراعية والفنون الجميلة، مؤملًا ازدياد عدد المشتغلين بهذه العلوم والفنون التي تحتاج إليها البلاد، وطلب من الشبيبة توجيه نظرها إلى الاشتغال بتاريخ مصر القديم وعلم الآثار المصرية والفنون الحربية.

وفي الجلسة التالية تكلم أحد طلبة جنيف في السياسة ومسألة الاشتغال بها؛ ثم أعقبه مندوب جمعية أبي الهول بجنيف، وألقى كلمة في العقيدة الوطنية وضعفها وقوتها، وبعد سماع كل هذه الكلمات الحكيمة قرر المؤتمر ما يأتي:

أولًا: أن يروض الطالب المصري نفسه على نظر الأشياء وبحثها على حقيقتها.

ثانيًا: تعوده على قراءة التاريخ.

ثالثًا: الإكثار من الأناشيد الوطنية ونشرها وتلحينها للتغني بها، ووضع روايات وطنية وأخرى تمثيلية لإظهار الشخصية المصرية.

رابعًا: أن يروض الطالب نفسه على الأسفار والرحلات أفرادًا وجماعات.

خامسًا: وضع تراجم عظماء الرجال ونشرها بين الطلاب.

وفي الجلسة التالية تكلم أحمد أفندي شريف عن طلبة جنيف في موضوع التعليم العالي في مصر وأوربا، وبعد سماع خطبته والمناقشة فيها قرر المؤتمر أن يطلب من الأمة والحكومة تعميم التعليم باللغة العربية، وجعل امتحانات النقل والحصول على الشهادات بالمدارس الثانوية والعالية مرتين، وأن يكون لحامل شهادة الدراسة الثانوية دخول المدارس العليا بغير قيد، وعلى الحكومة إيجاد محلات كافية سواء بزيادة الفصول أو بإنشاء مدارس جديدة حتى لا يحرم الطالب إتمام دروسه.

وفي جلسة تالية تكلم عبد الرحمن أفندي عزام (باشا) عن طلبة لندن في ضرورة الحكم الدستوري، فقرر المؤتمر دعوة الأمة المصرية إلى الاستمرار في جهادها الشريف لنيل الدستور بالمعنى الحقيقي، ثم أرسل المؤتمر تلغرافًا إلى وزارة خارجية إنجلترا هذا نصه:

«مؤتمر الطلبة المصريين بجنيف يحتج بشدة على وجود الاحتلال، ويطلب الجلاء؛ تحقيقًا لوعود إنجلترا».

وقرر كذلك مطالبة الجمعية التشريعية بوضع قانون يجعل التعليم الابتدائي إجباريًّا ومجانيًّا للبنين، والسعي لدى الحكومة في تنفيذه، كما قرر مطالبتها أيضًا بوضع قانون بإلغاء القوانين الاستثنائية وقانون المطبوعات، وقرر أن يكون انعقاد المؤتمر المقبل في لندن في عيد الفصح؛ ولكنه لم يجتمع بعد ذلك، لنشوب الحرب العالمية الأولى، وختمت أعمال المؤتمر بالهتاف لمصر الحرة المستقلة.

تطور الحوادث في مصر

الذكرى السادسة لوفاة مصطفى كامل

احتفل الوطنيون بالذكرى السادسة لوفاة مصطفى كامل يوم (١٠ فبراير سنة ١٩١٤م)، فمنذ الساعة الثالثة بدأ توافد الزائرين، ومنهم كثير من السيدات والآنسات، إلى مدفنه بالإمام، يحملون باقات الزهور، ويضعونها فوق الضريح، وأخذ الجميع مجلسهم في خشوع وإنصات يستمعون إلى آي الذكر الحكيم، واستمر توافدهم واجتماعهم حتى المساء.

وأقيمت حفلة ذكراه في الإسكندرية بدار جمعية الخطابة والحفلات، وخطب فيها محمود أفندي حمدي السخاوي رئيس الجمعية.

obeikan.com

مؤتمر الشبيبة المصرية بأوروبا الذى اجتمع بجنيف فى يوليه سنة ١٩١٤ (انظر ص ٣٧٢)

وترى فى الصورة من اليسار (١) الدكتور عبد العزيز عمران (٢) الدكتور يحيى احمد الدودرى . (٣) الاستاذ السيد عبد العزيز خضر المحامى (٤) الزعيم محمد فريد . (٥) الدكتور عثمان زاهر (٦) نجيب بك حسين الجندى . (٧) الدكتور عباس الجندى (٨) محمد افندى طلعت . (٩) اسماعيل افندى حسنى . (١٠) بالصف الثانى من اليسار : زيدان افندى القصبى زيدان . (١١) الدكتور مصطفى عمر بك (١٢) الدكتور عثمان الديب (١٣) الدكتور منصور رفعت . (١٤) عبد الرحمن افندى عزام (بك) . (١٥) الاستاذ خليل مدكور (١٦) الاستاذ فؤاد حسنى (١٧) الاستاذ توفيق حسن (عضو مجلس النواب الآن) . (١٨) الدكتور حسن الشافعى . (١٩) الاستاذ عبد الله عمار القاضى الآن بالمحاكم الأهلية (٢٠) بالصف الثالث : الدكتور عبد الحليم حلمى (٢١) الدكتور عبد الرؤف رشدى

كلمة الدكتور منصور فهمي

وكتب الدكتور منصور فهمي كلمة عن هذه الذكرى، تحت عنوان: (حول ذكرى مصطفى، الحماسة والحياة)، وصف فيها زيارته في ذلك اليوم لقبر الزعيم، وما أحدثته من الأثر في نفسه، قال:

«في جهة الجنوب، بعد ست سنين قضيتها بعيدًا، قطعت على قدمي لأول مرة ذلك الطريق البلقع، الذي يصل بين هذه المدينة القائمة على الحركة، وبين تلك المدينة الهادئة الساكنة، القائمة إلى جانب الله، الآهلة بسكان القبور، وأظن أن السائر على هذا الطريق الذي سرت عليه، الذاهب إلى هذه المدينة التي ذهبت إليها، المتئد في مشيته هيبة واحترامًا، كما كنت أتئد في مشيتي عند بلوغها هيبة واحترامًا، إما امرؤ قد جاهد في الحياة، حتى إذا جاءه الوعد المحتوم ترك عدته التي كان يجاهد بها، وخلع كساءه، وخلى تبعته من الدنيا، ليلحق بمن سبقه من سكان القبور، وإما رجل لا يحسن الجهاد، فانخذل في الحياة، وانصرف لينال من السابقين درسًا مفيدًا يقوم به حركاته في جهاد العمر، وإما رجل مثلي يبتغي راحة البال في هذا العالم المستريح، فيجلس إلى قبر سكن أهله بعد جهاد، واطمأنوا بعد حركة.

على أن أجد الناس بالسعي مكرمًا إلى تلك المدنية المكرمة، رجل غلب عليه السكون بعد قوة الحركة؛ بل الموت الحق بعد الحياة الحقة.

لا ينبغي أن نتخذ الحياة الدنيا متاعًا ولهوًا، وتفاخرًا فقط؛ إنما الحياة السليمة، هي التي تفصح عن معنى شعور الإنسان بشخصيته ووجوده، بل وبوجود الوجود نفسه، من لذة وألم، ومن أمل ويأس، ومن قوة في الحق وراحة إليه، ومن شوق إلى العلاء، وحب ورفق ورحمة، وخليق بمن يدعي الحياة أن يصبو إلى تلك الأصوات، لتصل إليه واضحة جلية، ويرى ألوانها بعين بصيرته، ظاهرة بديعة، تسر كل من يشعر بمعنى الحياة؛ الحياة الصادقة هي التي تدخل الحماسة في مظاهرها، والشعور

في نتائجها، والشوق في خيالاتها واللذة في أحلامها، والإخلاص في حركاتها، والتسليم الحي بقضائها، والصبر الجميل على آلامها، والموت الصادق الجميل، هو الذي يعقب الحياة الصادقة الجميلة، فهو راحة بعد تعب، وهدوء بعد جهاد، ومعرفة بعد غموض، وعبارة بعد رمز، وغيب بعد شهادة، بل عالم بعد عالم.

إلى أن قال: «قد كنت أراني في تلك المدينة الهادئة، ذاهبًا لأسأل أهلها، أستغفر الله بل لأسال عزيزًا من أهلها، ليزيدني فهمًا، وأتشجع بكلمة، لأزداد قوة.

تركت القبور جميعًا، وذهبت إلى قبر كان ساكنه مشتعلًا، يؤيد بحرارة نفسه معنى حياته، ويدفع منها إلى قلوب الناس، ليشعروا بالحياة، ذهبت إلى قبر مصطفى، وجلست قليلًا، ونظرت يمينًا وشمالًا إلى الأعلام المركبة بجوار تلك القوة الهادئة، وكنت أتحيل أن صاحب هذا القبر في حياته، كان في موكب ترفع فيه هذه الرايات، طالبًا لأمته الحماسة؛ كي يتعرفوا إلى شخصياتهم ويتمتعوا بمعنى الحياة الحرة في الوجود، كنت أتخيله في موكبه يسير، وما كان لأحد أن يمنع قوة تسير بإذن الله، وكأني كنت أسمع صوته قائلا: «دعني حرًّا أو دعني أموت». فاليوم يا مصطفى، قد نكون في حاجة شديدة إلى الحماسة، وقد نكون إلى مرشد رشيد أحوج منا إليها، ليدفع بصفوفنا إلى النظام في المعركة السلمية التي نبتغي فيها ما أحل الله لنا من النهضة والحياة، واليوم يا مصطفى قد نقول لك: حدثنا قليلًا، وإذا فاتك الكلام يا مصطفى، فقل لنا بربك مرة واحدة: (لا معنى للحياة مع اليأس، ولا معنى لليأس مع الحياة).

والآن يا مصطفى، أدع جدثك، ولتكن في حراسة الله وحراستك، تلك الأعلام التي بجانب قبرك، فسيأتي اليوم الذي ترضى فيه وتبسم، يوم نأخذها من دارك هذه التي تسكنها في المدينة الهادئة ونسعى بها إلى المدينة الحية، لنطلب الحياة الجديدة والنهضة الجديدة بجيوش السلم الذاهبة دائمًا إلى الأمام.

خرجت من دار مصطفى فقابلني سقاء؛ أشعث أغبر، كأنه خرج من قبر، وعرض عليَّ كأسًا، لينتظر قليلًا، إذ لم يجهدنا الكفاح في سبيل الله حتى نعطش! ومتى تعبنا في الجهاد فقد يحلو لنا ماؤك يا سقاء!».

وضع الحجر الأساسي للجامعة المصرية

(٣٠ مارس سنة ١٩١٤م)

أسلفنا في كتاب «مصطفى كامل» الكلام عن مشروع الجامعة المصرية، وما كان لمصطفى من الفضل في الدعوة إليه، وكيف ابتدأ السعي لتحقيقه في (أكتوبر سنة ١٩٠٦م)، إذا اجتمعت لجنة تأسيس الجامعة يوم (١٢ أكتوبر) بدار سعد بك زغلول (باشا)، وكان مستشارًا بمحكمة الاستئناف، وأسندت إليه وكالة رياسة اللجنة التي كانت بمثابة الرياسة الفعلية، وأخذت تجمع الاكتتابات لهذا الغرض، ثم أصاب المشروع الركود على إثر تعيين سعد باشا وزيرًا للمعارف في (٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦)، وانسحابه من رياسة اللجنة، وبقي المشروع راكدًا إلى أن دبت فيه الحياة، حينما أسندت رياسة اللجنة إلى الأمير أحمد فؤاد (الملك فؤاد) سنة (١٩٠٨م)[1]، فأخذ الأمير يعمل على إنفاذ المشروع وافتتاح الجامعة. جاء في حديث له باللواء في العدد الصادر يوم (٣ إبريل سنة ١٩٠٨م): «إن الجامعة ستفتح في الشتاء القادم، وستكون مؤلفة من ثلاثة أقسام: قسم للآداب، وقسم لتاريخ العرب، وقسم للتاريخ العام»، ثم قال: «إني على يقين من أن الجامعة بحسب النظام الذي وضع لها ستكون مهدًا لآداب تغير الهيئة الاجتماعية المصرية وترقى أفكارها وأخلاقها». ثم بين الأسباب التي حملت اللجنة على البدء بالتاريخ والآداب، فقال: «إننا جعلنا التاريخ والآداب فاتحة أعمال الجامعة لفائدتهما ولذتهما، فالتاريخ سيرقي عند الذين يتعلمونه في الجامعة ملكة التفكير والمقارنة، والحكم على الرجال والأشياء، أما الآداب فستعلم الذين يتلقونها في الجامعة أحسن ما جاءت به الأفكار الإنسانية».

---

(١) راجع كتاب «مصطفى كامل» ص٣٢٩، ٤٠١ «من الطبعة الأولى» والطبعات التالية.

وقد بعثت رياسة الأمير أحمد فؤاد روح الهمة في تأسيسها، وزادت روح البذل والتبرع لها. واجتمع لمجلس إدارتها من الإيراد ما جعله يكمل معداتها، ويفتح أبوابها للطالبين.

وافتتحت الجامعة بحضور الخديوي عباس في حفلة رسمية، أقيمت بقاعة مجلس شورى القوانين (قاعة مجلس الشيوخ فيما بعد) يوم الإثنين ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨م (٢٧ ذي القعدة ١٣٢٦هـ)، وخطب فيها الأمير أحمد فؤاد رئيس مجلس إدارتها، وأجاب الخديوي على خطبته بكلمة أعرب فيها عن اغتباطه بإنفاذ المشروع، وأعلن افتتاح الجامعة وخطب أيضًا في الحفلة عبد الخالق ثروت باشا، وأحمد زكي باشا.

وافتتحت الدراسة بالجامعة ابتداء من مساء ذلك اليوم، وكانت أول دار لها بسراي جناكليس، بأول شارع قصر العيني (الجامعة الأمريكية الآن)، ثم انتقلت إلى سراي محمد صدقي بشارع الفلكي.

وكانت الدراسة فيها في بداية عهدها محدودة في دائرة ضيقة؛ إذ كانت تقتصر على محاضرات في الآداب والتاريخ والجغرافية، وفروع أخرى في حدود ميزانية ضئيلة.

وفي سنة (١٩١٤م) أسدت الأميرة فاطمة إسماعيل كريمة الخديوي إسماعيل إلى الجامعة أكبر هبة نالتها، إذ وقف عليها ستمائة فدان من أجود أطيانها، ومنحتها ستة أفدنة بالدقي ليقام عليها مبنى الجامعة، كما تبرعت لها بجواهر وحلي قيمتها (١٨٠٠٠ جنيه) لينفق ثمنها في إقامة هذا المبنى، فبلغت قيمة ما تبرعت به نحو مائة ألف جنيه، وقد قوبل هذا التبرع الكريم بالغبطة والابتهاج والاستحسان العظيم في البلاد.

واحتفل بوضع الحجر الأساسي للجامعة في الأرض التي تبرعت بها الأميرة بالدقي يوم الإثنين ٣٠ مارس سنة ١٩١٤م (٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢هـ). وكان

احتفالًا فخمًا، حضره الخديوي، ووضع الحجر الأساسي بيده، وقد نقشت عليه العبارة الآتية: (الجامعة المصرية- الأميرة فاطمة بنت إسماعيل- سنة ١٣٣٢ هجرية)، ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى أوقف إتمام البناء، ثم استولت عليه الحكومة مقابل جزء من الأرض التي قدمتها إلى الجامعة لمبانيها الحالية بحديقة الأورمان بالجيزة، ثم ضمت الجامعة إلى الحكومة بموجب المرسوم الملكي الصادر في (١١ مارس سنة ١٩٢٥م).

وقد وضع الملك أحمد فؤاد الحجر الأساسي لمباني الجامعة الحالية بالأورمان يوم الثلاثاء ٧ فبراير سنة ١٩٢٨م (١٥ شعبان سنة ١٣٤٦هـ).

استقالة وزارة محمد سعيد باشا

وتأليف وزارة حسين رشدي باشا

(إبريل سنة ١٩١٤م)

قدم محمد سعيد باشا استقالة الوزارة يوم (الجمعة ٣ إبريل سنة ١٩١٤م)، وترجع أسباب هذه الاستقالة إلى أن الخديوي نقم من سعيد باشا انحيازه التام إلى اللورد كتشنر، ومسايرته إياه في سلطانه المطلق الذي استحوذ عليه، حتى صار الحاكم بأمره في مصر، وانزوى الخديوي في قصره، بعيدًا عن كل سلطة، ولم يكن سعيد باشا يطلعه على أوامر اللورد كتشنر ونواهيه؛ بل كان يعمل بها دون الرجوع إليه، وبلغه عنه أنه ذكر في مجالسه الخاصة أن مركزه لا يستند إلى رضا الخديوي، بل إلى رضا المعتمد البريطاني، فخنق عليه وجاءت حادثة سكة حديد مريوط سببًا لزيادة حنقه، وخلاصتها أن الخديوي كان يملك هذه السكة؛ إذ أنشأها بماله، ولما تأت بالربح الذي كان ينتظره، شرع في بيعها إلى شركة إيطالية، فاعترض اللورد كتشنر على هذا البيع، فعرض الخديوي أن تشتريها الحكومة المصرية، وانتهت المفاوضات في (فبراير سنة ١٩١٤م) ببيعها إلى الحكومة مقابل (٣٩٠,٠٠٠ جنيه)،

فعدَّها الخديوي صفقة خاسرة، وأخذ على سعيد باشا أنه نفذ فيها أوامر اللورد، فزاد حنقه عليه، ولم يطق صبرًا على بقائه في الوزارة، وأخذ يعمل على إسقاطه، وسلك إلى ذلك سبيل التفاهم مع المعتمد البريطاني، فأفضى إليه في إحدى مقابلاته باستيائه من خطة سعيد باشا، ولمح في حديثه إلى أنه يفضل عليه مصطفى فهمي باشا، وأشار إلى أنه يستطيع أن يعرف منه رغبات اللورد في شئون الحكومة، حتى يتفاهما عليها، وإذ كان اللورد كتشنر يعرف في مصطفى فهمي باشا أنه صنيعة الاحتلال القديم، فقد قبل ما عرضه الخديوي، ووافق على إحلاله محل محمد سعيد باشا؛ لأن الاحتلال لا يهمه شخص رئيس الوزارة، بل يهمه ولاؤه للاحتلال، وطاعته في تنفيذ أوامره، فلما تم هذا الاتفاق أصبحت وزارة سعيد باشا مقضيًّا عليها بالسقوط، وبدأت المفاوضات مع مصطفى فهمي في تأليف الوزارة الجديدة، ولكن لم يتم تأليفها، لخلاف طرأ على شخص أحد المرشحين للوزارة، وكانت صحة مصطفى فهمي لا تحتمل متاعب الجدل والحكم في تلك الظروف التي تختلف عن ظروف وزارته السابقة (١٨٩٥-١٩٠٨م) فتنحى عن مهمة تأليف الوزارة، ولم يكن اللورد كتشنر ليتوقع هذه المفاجأة، فاضطر بعد إذ وافق على مبدأ سقوط وزارة سعيد باشا، أن يلجأ إلى الخديوي، لحل هذه الأزمة، فرشح الخديوي حسين رشدي باشا للرياسة، فوافق اللورد على هذا الترشيح، وتم تأليف الوزارة في (٥ إبريل) على النحو الآتي:

حسين رشدي باشا للرياسة والداخلية، إسماعيل سري باشا للأشغال والحربية والبحرية، أحمد حلمي باشا للمعارف، يوسف وهبة باشا للمالية، محمد محب باشا للأوقاف، عدلي يكن باشا للخارجية، عبد الخالق ثروت باشا للحقانية، إسماعيل صدقي باشا للزراعة.

وقد عُد سقوط وزارة محمد سعيد باشا، وتأليف وزارة حسين رشدي باشا، مهارة سياسية من الخديوي؛ لأن أحدًا لم يكن يتوقع أن ينجح في تنحية سعيد باشا

عن الحكم، مع رضا المعتمد البريطاني عنه؛ ولكنه استطاع بتلويحه باسم مصطفى فهمي باشا، أن يقنع اللورد كتشنر بقبول فكرته، ثم انتهى الأمر بإقصاء مصطفى فهمي أيضًا، وتولى الوزارة من كان الخديوي يرشحه.

رحلة الخديوي إلى الوجه البحري

كان سقوط وزارة سعيد باشا وتأليف وزارة حسين رشدي باشا فوزًا سياسيًّا للخديوي، فأراد أن يستغل هذا الفوز؛ ليسترد شيئًا من نفوذه الذي فقده بانزوائه في قصره، وتركه سلطة الأمر والنهي للورد كتشنر، فبدأ في (٢٨ إبريل سنة ١٩١٤م) يسيح في الوجه البحري، فطاف بمديريات القليوبية، والمنوفية، والدقهلية، والغربية، والبحيرة، وزار كبار الأعيان في دورهم، فكانت هذه السياحة سلسلة من الحفلات والمظاهرات التي أقيمت لشخصه، وقوي نفوذه الأدبي في البلاد، وأعلن الخديوي عن ابتهاجه بهذه الرحلة في «إرادة سنية»، أصدرها إلى حسين رشدي باشا رئيس الوزارة يوم (٥ مايو سنة ١٩١٤م).

الاعتداء على الخديوي بالأستانة

(٢٥ يولية سنة ١٩١٤م)

قصد الخديوي إلى الأستانة (إستانبول) في صيف سنة (١٩١٤م) لزيارة السلطان محمد رشاد، وبينما كان خارجًا يوم (السبت ٢٥ يولية) من الباب العالي «رياسة مجلس الوزراء» عقب زيارته للصدر الأعظم، الأمير سعيد حليم باشا، أطلق عليه شاب مصري الرصاص من مسدسه، فأصابه أربع إصابات؛ منها ثلاث جرحت ذراعه وساعده الأيسرين، واخترقت الرصاصة الرابعة الخد الأيسر، وكسرت بعض أضراسه، وجرحت لسانه، فكانت إصابات بليغة، ظل يعالج منها حتى شفي من جراحة في منتصف سبتمبر.

وقع الاعتداء عند باب الصدارة الخارجي، وما أن لمح البوليس التركي الجاني يرتكب الجريمة، حتى عاجله بالرصاص، فأرداه قتيلًا، وتبين أنه طالب مصري بمدرسة البحرية العثمانية، يسمى محمود مظهر بن أحمد بك مظهر رئيس محكمة بني سويف.

وقد رُوعت البلاد لهذا الاعتداء، واهتمت الحكومة بتعرف أسباب الجناية، وتتبعت مجرى التحقيق فيها، وذهبت وفود من أعيان البلاد وكبرائها إلى الأستانة، للاطمئنان على صحة الخديوي، وتهنئته بنجاته من هذا الاعتداء المنكر، ولم يسفر التحقيق عن إدانة أحد سوى القاتل، ولما كان قد قتل عقب الحادثة، فلم يتسع المجال للكشف عن سبب الجريمة، ولا عن شركاء للجاني، ونسب إلى البوليس التركي شيء من الإهمال في ضبط الواقعة؛ إذ كان واجبًا عليه أن لا يجهز على القاتل فورًا، لكي يستجوبه، فقد تنكشف أسرار الجريمة من أجوبته، ولذلك ذاعت الإشاعات أن البوليس التركي كان عالمًا من قبل بأن جريمة ما سترتكب ضد الخديوي، فأجهز على القاتل لكي يدفن سرها معه، وقيل: إن للحكومة التركية وللصدر الأعظم الأمير سعيد حليم يدًا في الجناية؛ لأنه كان يطمع في عرش مصر بعد الخديوي، ولكن لم تتبين الحقيقة، إذ جاءت الحرب العظمى في أعقاب الجريمة، فطغت على أهميتها.